اللغات السامية وأشهر دراساتها

د٠ صفية إبراهيم مريديخة (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

تُعد اللغات السامية من المجالات التي لم تحض بدراسات كافية خاصّة في العالم العربي،وإذا تفقدنا المكتبات العربية فإننا لن نعثر إلا على مجموعة قليلة من الدراسات أغلبها مترجم عن دراسات قام بها بعض المستشرقين.

وقد جاءت هذه الدراسة لتُسلط الضوء على بعض الجوانب في اللغات السامية وترصد أهم الدراسات التي تناولت لغات هذه الفصيلة التي تُمثل قِسما رئيسيا من لغات العالم.

واقتضت طبيعة الموضوع أن يقع في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة وجاء على النحو التالي:

***المبحث الأول: التعريف باللغات السامية.**

المطلب الأول: الشعوب السامية وموطنهم الأصلي.

المطلب الثاني: اللغة السامية الأم.

***المبحث الثاني: أقسام اللغات السامية وأهم خصائصها.**

المطلب الأول: أقسام اللغات السامية.

المطلب الثاني: أهم خصائص اللغات السامية.

***المبحث الثالث: أشهر الدراسات حول اللغات السامية.**

المطلب الأول: أهم الدراسات السامية القديمة.

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية جامعة طيبة – المدينة المنورة.

المطلب الثاني: أهم الدراسات السامية الحديثة.

الخاتمة: وقد عرضت فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث وعرضت بعدها أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة.

أمّا عن الصعوبات التي واجهتني فهي بطبيعة الحال قلة المراجع في هذا الميدان.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن أتّبع المنهج الوصفي وأن أستعين بالمنهج التاريخي في بعض الأحيان.

فان وفقت فهذا من فضل ربي وان كان هناك تقصير فهذه طبيعة البشر.

والله ولي التوفيق،،

المبحث الأول

التعريف باللغات السامية

المطلب الأول: الشعوب السامية وموطنهم الأصلي

يُطلق لقب الساميين على مجموعة من الشعوب التي انحدرت من سلالة معينة، اقتبسها العالم شلوتزر من سفر التكوين وما ورد فيه من أن أولاد هنوح عليه السلام وهم: سام ، وحام ويافث، انحدرت عنهم سلالات البشر، حيث انحدرت عن كل واحد منهم شعوب معينة مثل سام قيل عنه أنه أبو آرام، وعابر، وجدّ أصحاب اللغتين الآرمية والعبرية[١] .

ثم أطلق مصطلح اللغات السامية على لغات هذه الشعوب، لكننا نجد من العلماء من يدحض هذا الرأي.

ادعت دائرة المعارف البريطانية أن أوّل من استخدم كلمة اللغات السامية في بحوثه التاريخية لمجموعة من لغات الشرق الأوسط هو شلوتزر... ثم سرى هذا الزعم عند علماء المشرقيات ولكن المصادر السريانية تدحض هذا الزعم وتؤيد أن هذه التسمية قديمة جدّا يرتقي تاريخها إلى ما قبل القرن السابع الميلادي،و أول عالم سرياني أطلق هذه التسمية على مجموعة اللغات الشرقية هو يعقوب الرهاوي المتوفى سنة٧٠٨م... وابن العبري في القرن الثالث عشر ليكون الزعم بأن شلوتزر أوّل من استعمل هذا الاصطلاح بعيدًا عن الصحة لأن العلماء السريان سبقوه الى ذلك بعدة قرون ، ولكن مما يُؤسَف له أنّ هذه اللغات بلغتها السريانية بعيدة عن أعين الباحثين المعاصرين[٢] .

---

(١) انظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي: ٦، وانظر فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب: ٢٥.

(٢) أنظر الموقع: www.syriacstudies.com .(الساميون واللغة السامية الأم): المطران بولس بهنام.

والحقيقة أن اللغات السامية كلها لم تلق حقّها من البحث والدراسة. بالرغم من أنها فصيلة ذات مكانة تاريخية كبرى، يرى ولنفنسون وهو أحد العلماء الذين خاضوا في هذا المجال أنّ الأمم الأوروبية اجتهدت في البحث في معرفة لغات وتاريخ الأمم السامية ونقبّت عن آثارها، ويرى أنه من الأولى أن يكون هذا الأمر من قبل الأمم الشرقية لاستكشاف ما ترك أجدادهم من حضارات عجيبة. أما في ما يخص الموطن الأوّل للساميين فقد وردت فيه عدّة مذاهب وأهمّها ما يلي:

١-المذهب الإفريقي

وينسب هذا المذهب إلى المستشرق تيودور نولدكة،الذي يرى أن الموطن الأصلي للساميين هو إفريقيا وقد اعتمد على بعض الأدلة أهمها الدليل الخلقي الذي يرى فيه أن عضلة الساق في الأقوام السامية هزيلة تمامًا كما هو الحال لدى سكان إفريقيا الأصليين كذلك يرى وجود تشابه في نوع شعر الرأس وبروز الفكين.

وقد وُجهت بعض الانتقادات لهذا المذهب أشهرها: كيف اختفت إذًا جميع اللغات السامية من إفريقيا؟.

٢-المذهب الأرميني

وصاحب هذا المذهب هو المستشرق الفرنسي رينان الذي يرى أن الساميين قد وفدوا من منطقة أرمينيا وكردستان، ومن الأدلة التي استند عليها ما ورد في التوراة من أن سفينة نوح عليه السلام قد رست في مكان قريب من هذه المنطقة.

أمّا أهم الانتقادات الموجهة لهذا المذهب فهي أنه لم يعتمد على أدلة علمية يقينية وأن كل ما استند عليه مأخوذ عن الرواة والقصاصين فحسب.

٣-المذهب البابلي

أشهر رواد هذا المذهب جويدي وهومل وآخرون. ويرى أصحاب هذا المذهب أن الموطن الأصلي للساميين هو أسفل الفرات، وأدلتهم لغوية، حيث قام جويدي بمقارنة بعض المفردات في هذه اللغات واكتشف أن التشابه واضح بينها خاصة ألفاظ الطبيعة وأسماء بعض المعادن والحيوانات. ومع أن هذا المذهب من المذاهب القوية إلّا أن أدلته لم تلق القبول التام.

٤-المذهب العربي

نادى مجموعة من العلماء بهذا المذهب، أشهرهم موسكاتي الذي يرى هو وأصحابه أن المهد الأوّل للساميين هو الجزيرة العربية واستندوا الى مجموعة من الأدلة أهمها الأدلة التاريخية كبعض النقوش وبعض الحوادث السياسية القديمة، ووجود تشابه خلقي بين الجنس السامي وسكان البلاد العربية كما برهن بعض المستشرقين أن اللغة العربية هي أقرب اللغات للغة السامية الأم.

ويبدو أن هذا المذهب قد فرض نفسه على علماء اللغة في العصر الحديث وجعلهم يثقون في فكرة انحدار الساميين من شبه الجزيرة العربية ومنها انطلقوا عبر التاريخ إلى المناطق الأخرى كبلاد الرافدين وسوريا والحبشة وبلاد إفريقيا[١] .

المطلب الثاني: اللغة السامية الأم

يميل بعض الباحثين إلى أن اللغة السامية الأم هي مجرد تصور وضعه العلماء للحالة التي كانت عليها اللغات السامية في أقدم صورها يقول ولنفنسون: ولمّا تبيّن العلماء تلك العلاقة المتينة بين جميع اللغات السامية، ساقتهم هذه العلاقة إلى الاعتقاد بأن جميع اللغات متفرعة عن دوحة واحدة، ثم استنتجوا من بعض الظواهر أن تلك الدوحة الأصلية لجميع اللغات السامية كانت منتشرة في

(١) انظر في كل ذلك فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب: من ص: ٣٨ الى ٤٢.

منطقة واسعة الأطراف، ثم تجمعت منها لهجات مختلفة وظلت غير ظاهرة مخالفة للأصل الى أن انتشرت قبائل الأسرة السامية في بلاد شتى وهاجر بعضها من مهده الأصلي ثم بدأت تأثيرات البيئة في ألسنة المهاجرين فأخذت المخالفة تبرز وتنمو حتى أصبحت تلك اللهجات مغايرة للأصل واضحة كأن كلا منها لغة مستقلة(١).

ونلاحظ اختلاف أساليب العلماء في المصطلحات التي يستخدمونها فنجد هنا ولنفنسون يطلق على السامية الأم الدوحة السامية واللغة الأصلية، أمّا موسكاتي وأصحابه فقد أوردوا في كتابهم (مدخل نحو اللغات السامية) مصطلحات: السامية المشتركة ومحض السامية والسامية الأم.

(نشير بالسامية الأم أو السامية العامة المشتركة إلى مجموعة عناصر يقودنا فحص اللغات السامية الموثقة تاريخيا إلى أن نعدها خاصية مشتركة للمجموعة السامية في أكثر أطوارها قدمًا (السمات اللغوية السامية المشتركة)؛ فلهذا السبب نكشف هنا نقاط البدء لتطورات خاصة بكل لغة من هذه اللغات.

وسواء أكان لمثل إعادات البناء هذه ــ المزعومة ــ واقع ثابت تاريخيًا أم لا فذلك أمر من الصعب الفصل فيه.... ويجب ألّا يغيب على البال أن السامية الأم ليست سوى تقليد أو افتراض لغوي ولكن مثل هذا التقليد ضرورة لابد منها لفهم التاريخ اللغوي وإعادة بنائه)(٢).

وقد اجتهد بعض العلماء في تبيين مدى العلاقة بين كل لغة سامية واللغة السامية الأم وتوصلوا إلى بعض النتائج النسبية، كما ذكروا بعض سمات هذه اللغة السامية الأم.

يقول ولنفنسون: (ولاشك أن اللغة السامية الأصلية لم تكن كثيرة المفردات إذ كانت في طور طفولتها ومبدأ نشأتها مجردة من الحياة الفكرية التي

(١) تاريخ اللغات السامية: ولنفنسون: ١١.
(٢) مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن: سباتينو موسكاتي وأخرون :٣٣.

تدعو الى استحداث ألفاظ كثيرة للتعبير عن أنواع المعاني التي يخلقها الفكر كما هي حالة جميع اللغات الهمجية إلى زمننا الحاضر فإنّنا نجدها ضيّقة المادة، قليلة المفردات لخلوها من العلم والتفكير)[١] .

ويقول في موضع أخر: (والطريقة المثلى للبحث عن أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية الأصلية وهي أن نبدأ باستخلاص القديم من كل اللغات السامية ثم نُكوّن من هذا القديم لغة واحدة تعتبر كأنها أقرب صورة للغة السامية، ثم نوازن بينها وبين جميع اللغات السامية فالتي تكون منها أقرب إلى هذه الصورة تكون هي الأقرب الى السامية الأصلية)[٢] .

هناك من العلماء من يرى أن أقرب اللغات السامية إلى السامية الأم هي اللغة العربية وبعضهم ظل متردّدًا في هذا الحكم أمثال ولنفنسون الذي يقول: (ونحن إذا نظرنا إلى المعضلة من هذه الناحية يمكننا أن نقول أن اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة بسبب وجودها في مناطق منعزلة... على أن ما احتفظت به العربية من القديم ليس بريئًا من التغيير بل فيه شيء كثير يدل على أنه تقلّب في أطوار مختلفة في حين أن غيرها من اللغات السامية قد احتفظ بصيغ وصور قديمة جدًّا كما في العبرية والآرامية)[٣] .

ويعتمد موسكاتي وأصحابه المبدأ نفسه تقريبًا فقد ورد في كتابهم مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: (والموقع المركزي الذي طالما احتلته العربية بصفتها النموذج الأصل والصورة الحق لسامية البدائية قد جرى تحديه في الأزمنة الحديثة، إنّ بناء العربية الصوتي يوازيه الآن ما للأوغاريتية والعربية الجنوبية من بناء صوتي ونظام الفعل المتطور تطورًا عاليًا فيها يعد نتيجة

(١) تاريخ اللغات السامية، ولنفنسون: ١٨.

(٢) المرجع نفسه: ١٤.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

التنظيم المنهجي لا القدم، وقد عدلت معرفة أعمق بالأكادية وبطائفة من اللغات السامية الشمالية الغربية و... من أفكارنا في ما يتعلق بالسامية الأم وبتلك الألسن الكلاسيكية التي زُعم أنها تشبهها شبهًا قريبًا) [١]

ومن العلماء الذين يرون أنّ العربية أقرب اللغات للغة السامية الأم ــ خاصة من ناحية الأصوات ــ الدكتور محمود فهمي حجازي، يقول: (ويميل أكثر الباحثين إلى اعتبار أصوات الحلق في اللغات السامية موروثة عن اللغة السامية الأولى، واللغة العربية تُعد بصفة عامة أصدق تعبيرًا عن اللغة السامية الأم)[٢] .

وبعد أن أشار لأصوات بعض اللغات السامية ووضّح علاقتها بالسامية الأولى بيّن أن اللغة العربية قد احتفظت بالمجموعة كاملة لذلك تُعد – في رأيه – امتدادًا من هذا الجانب للغة السامية الأم.

وهناك رأي أخر قريب من هذا الرأي وهو رأي الدكتور حسن ظاظا الذي ذكر الصفات الصوتية للغة السامية الأم وكذلك بعض الصفات الصرفة في كتابه (الساميين ولغاتهم).

وقد بيّن أن الكثير من هذه الصفات حافظت عليها اللغة العربية الى يومنا هذا.

ونستنتج من كلامه أنّه مع الذين يميلون إلى أن اللغة العربية أقرب اللغات السامية إلى السامية الأم.

* *

(١) مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي وأصحابه، ص: ٣٤.

(٢) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي: ص: ١٤٠.

المبحث الثاني

أقسام اللغات السامية

المطلب الأول : أقسام اللغات السامية

تنقسم اللغات السامية عمومًا الى غربية وشرقية وتنقسم السامية الغربية بدورها إلى غربية شمالية وغربية جنوبية.

السامية الغربية الشمالية تشمل اللغتين الكنعانية والآرامية وتنقسم الكنعانية الى شمالية وجنوبية والشمالية تمثلها اللغة الأوجاريتية وهي لهجة كنعانية قديمة كانت على الساحل السوري قريبًا من اللاذقية. أمّا الكنعانية الجنوبية فتمثلها اللغة العبرية التي كتب بها أهم نصوص كتاب العهد القديم ويشمل التوراة، وأقدم مصادر اللغة العبرية قصيدة دبورة المشهورة التي ترجع إلى الألف الثانية قبل ميلاد المسيح.

وكان زوال ملك اليهود السياسي وتدمير بيت المقدس على أيدي الرومان من أعظم الحوادث التي أثرت في تاريخ اليهود ولغتهم حيث أدى تشتتهم في بلاد العالم الى تأثرهم بلغات تلك المناطق.

ومن لهجات الكنعانية الجنوبية خطابات تل العمارنة المكتوبة باللغة الآشورية وكذلك من أقسامها اللغة المؤابية التي يمثلها نقش ميشع المشهور .

ومن الكنعانية الجنوبية كذلك اللغة الفينيقية[١] .وهي لغة نقوش وصلت إلينا من ساحل الشام ومن جنوب أوروبا وشمال إفريقيا وهي مدونة بخط أبجدي مطور تتخذ أشكالا هندسية مختلفة يشبه إلى حد ما الخط العبري وقد انتشرت هذه اللغة في شمالي إفريقية وسميت هناك باللغة البونية[٢] .

---

(١) انظر فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب : ص: ٣١،٣٠،٢٨،٢٩،٢٦،١٥.

(٢) انظر مدخل الى علم اللغة، د/ محمود فهمي حجازي. ط (٢) ٨٨.

أمّا القسم الثاني من السامية الغربية الشمالية فهي اللغة الآرامية وهي لغة القبائل التي كانت تنتقل في أطراف الجزيرة العربية وجنوب سورية وقد اشتبكت هذه اللغة مع الكثير من اللغات في تلك المناطق وانتصرت. وأهم لهجة آرامية هي السريانية بالإضافة إلى المنداعية ولغة التلمود البابلي وقد ضمّ التراث السرياني الكثير من المؤلفات منها تفاسير للتوراة والإنجيل ومنها في الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية، ولهذه اللغة أهمية تاريخية حيث كانت واسطة لنقل الثقافة اليونانية الى الحضارة الإسلامية وكانت حلقة وصل بين العربية واليونانية عن طريق السريانية ومازالت هناك آثار لهذه اللغة في لبنان والشام والعراق [١].

وكانت نهاية اللغة الآرامية من المناطق التي انتشرت فيها بسبب الفتح العربي.

أمّا القسم الغربي الجنوبي من اللغات السامية فيضُم لغتين مشهورتين هما العربية والحبشية تشبه اللغات اليمنية القديمة وأهم لهجاتها الجعزية التي قيل عنها أنها لم تُعمر كثيرًا لأن اللهجة الأمهرية أخذت مكانها حيث توسعت الأمهرية وامتد نفوذها وأصبحت لغة الدواوين الرسمية والمؤلفات العلمية والأدبية، ثم بدأت تبتعد عن بقية الساميات بسبب كثرة إحتكاكها باللهجات الحامية وصراعها الطويل معها وهناك لهجات أخرى أقل انتشارًا بعضها تفرّع عن الجعزية[٢].

أمّا العربية فتنقسم إلى قسمين: جنوبية وشمالية. الجنوبية موطنها اليمن أهم مراكز الحضارة السامية، وقد وصلت لنا اللغات اليمنية عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور والأعمدة والقبور وكانت مدونة بالخط المسند ومن

(١) انظر مدخل الى فقه اللغة، د/ أحمد محمد قدور. ط من ص:٦١ إلى ٦٥.
(٢) أنظر المرجع السابق: ٦٦، ٦٧.

أهم هذه اللغات المعنبية والسبئية والحميرية والقتبالية والحضرمية. إلا أن سيادة الممالك اليمنية زالت في أواخر القرن الرابع الميلادي لذلك تراجعت لغاتهم أمام العربية السائدة في وسط الجزيرة وشمالها لكن بعضها استمر إلى يومنا هذا.

أمّا العربية الشمالية فهي لغة النقوش التي تم اكتشافها في شمالي الجزيرة ومنطقة الشام ولغة الشعر الجاهلي التي تعود إلى قبيل البعثة بقرنين.

وتنقسم العربية إلى العربية البائدة والعربية الباقية :

العربية البائدة: وهي عربية النقوش التي تعرف باللحيانية والثمودية والصفوية وتُنسب النقوش اللحيانية إلى قبائل لحيان التي يُرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد وقد دونت بالخط المسند. أمّا النقوش الثمودية فتنسب إلى قبائل ثمود التي يبدو أن ديارهم تقع شمال الجزيرة بالقرب من موطن لحيان، وقد وجدت هذه النقوش الثمودية في منطقة مدائن صالح شمال غرب الجزيرة العربية وفي مدينة العلا وفي حائل وتيماء وتبوك .

وتنسب النقوش الصفوية إلى المنطقة التي اكتشفت بها وهي المنطقة الواقعة بين جبل حواران وشلال الصفاه وقد جمع المستشرق ليتمان نقوشها وتمكّن من حل رموزها ويرجع تاريخ تدوينها إلى مابين القرنين الثالث والسادس الميلادي.

ويؤكد الباحثون أن أصحاب هذه النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية عرب لا يختلفون عن عرب قبائل الجزيرة العربية ، أمّا لغة هذه النقوش فقد تكون عربية أو كنعانية أو آرامية لكنها بصفة عامة عربية أو قريبة منها[1] .

ومن أشهر النقوش التي تمثل هذه العربية وأقدمها نقش النمارة والنمارة هو قصر للروم في جبل حوران ونقش زبد المكتوب بثلاث لغات اليونانية والسريانية والعربية و زبد مكان يقع في الجنوب الشرقي من مدينة حلب،

(١) انظر مدخل الى فقه اللغة العربية، د/ أحمد قدور: ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

ونقش حران باليونانية والعربية وقيل أنه كان قبل مولد الرسول ﷺ بثلاث سنوات كما قيل أن هذا النقش ذو قيمة تاريخية لأنه أوّل نص جاهلي عربي كامل وأقرب إلى الخطوط العربية من بقية النقوش.

العربية الباقية: وهي العربية التي لا تزال إلى يومنا هذا عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف. وقد نشأت هذه اللغة في بلاد نجد والحجاز ثم انتشرت في أطراف المعمورة وتفرعت الى عدة لهجات.

ويرى العلماء أن طفولة هذه اللغة مجهولة حيث لم يعثروا على أي آثار منقوشة أو مكتوبة في مواطنها الأولى بنجد والحجاز[١].

وأقدم ما وصل إلينا هو الأدب الجاهلي من شعر ونثر وخطب لكنها لم تدون وتجمع إلا في القرون الأولى للعصر الإسلامي ويرجع أقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير [٢].

لقد وصلت إلينا اللغة العربية في صورتين صورة أدبية وصورة شعبية، أمّا الصورة الأدبية فتتمثل في الآثار الأدبية الجاهلية من شعر ونثر وخطب وأمثال وحِكم.

والصورة الثانية فهي ليست أعمالًا متكاملة وإنما انتشرت في ثنايا الكتب والمؤلفات من كتب اللغة والأدب في شكل لهجات مختلفة.

ونلاحظ أن نصوص الصورة الأولى تتميز بلغة موحدة منسجمة وهي التي كان يستخدمها الشاعر والخطيب والأديب للتعبير عن أفكاره. وقد نشأت هذه اللغة المشتركة نتيجة عوامل دينية واقتصادية عديدة، أما العوامل الدينية فهي كون بيئة مكة بيئة مقدسة يأتي إليها المسلمون من كل بقاع المعمورة فتتمازج اللهجات لاشعوريًا وتختلط ببعضها. ومن ناحية أخرى كانت هناك تلك

(١) انظر علم اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي: ١٦٦ – ١٧٨.
(٢) انظر فقه اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي: ٨٦.

الأسواق الأدبية التي تقام في مكة حيث [1] .كان يجتمع الأدباء والشعراء لإقامة الندوات والمسابقات الشعرية وبطبيعة الحال كان يختلط فيها سكان مكة بالوافدين من المناطق الأخرى ويعتبر هذا الأمر من روافد بناء العربية المشتركة.

ومن العوامل الأساسية الأخرى في نمو وازدهار العربية المشتركة نزول القرآن الكريم بها لأنه كان السبب الرئيسي في توحيدها.

أمّا العامل الاقتصادي الذي ساهم في تكوين العربية المشتركة فهو أن أهل مكة كانوا يهتمون بالتجارة ويتنقلون في أماكن مختلفة (رحلة الشتاء والصيف) هذا الأمر أتاح لهم الغنى والثراء والنفوذ القوي وجعل اللهجة القرشية أقوى اللهجات وأكثرها مساهمة في العربية الفصحى[2] وقد تميزت هذه العربية المشتركة بعدة صفات منها أنها كانت فوق مستوى العامة وكانت عناصرها لا تنتمي إلى بيئة واحدة أي لا تنتمي لقبيلة معينة بل كانت مزيجا من لهجات القبائل وهذا الرأي يبطل رأي الذين يرون أن الفصحى تكونت من لهجة قريش لوحدها.

المطلب الثاني: أهم خصائص اللغات السامية :

تشترك اللغات السامية في مجموعة من الصفات تجعلها تختلف عن بقية الفصائل، كما تجعل منها كتلة متلاحمة، وهذه الصفات بطبيعة الحال تخص الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ويمكن حصرها في ما يلي:

١- من ناحية الأصوات يغلب على اللغات السامية الأصوات الحلقية (العين والغين والحاء والخاء والهاء والهمزة) وكذلك الأصوات الطبقية المفخمة (الصاد والضاد والطاء والظاء) .

---

(١) أنظر فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب: ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٢) أنظر المرجع السابق: ٧٩، ٨٠ .

٢- يعتمد بناء الكلمة في اللغات السامية على الأصوات الصامتة أمّا الأصوات الصائتة فهي تساهم في التعبير عن معنى جديد أو تخصيصه للتعبير عن صيغ عديدة، كما أن إضافة بعض اللواحق والسوابق للكلمات يؤدي إلى معان كثيرة بإضافة علامة الجمع أو التأنيث.

٣- ترجع الكلمات في اللغات السامية في أصل اشتقاقها الى ثلاثة حروف وما زاد عن ذلك يُعتبر مزيدًا.

٤- نجد أن الأسماء في اللغات السامية تصنف حسب معايير ثابتة كالعدد المعتمد فيه على ثلاثة أقسام (الإفراد والتثنية والجمع) بينما نجد اللغات الهندية الأوروبية تعتمد التقسيم الثنائي أي المفرد والجمع فقط [١].

٥- ومن المميزات العامة للغات السامية وجود الجملة الإسمية فيها أي التي تقوم على مبتدأ وخبر دون رابطة لفظية وكذلك شيوع اشتقاق الأسماء من الأفعال وكذلك العكس و وجود ظاهرة الإعراب التي بقيت في بعض اللغات السامية كاللغة العربية واندثرت من أغلب اللغات السامية[٢].

٦- أمّا في الجنس فنجد أن كل اسم من الأسماء السامية لا يخرج عن كونه مذكرا أو مؤنثا بينما في اللغات الأوروبية يوجد قسم ثالث هو المحايد[٣].

٧- الفعل في معظم اللغات السامية ليس له إلا زمنان فعل انتهى وهو الماضي وفعل لم ينتهي وهو المضارع والأمر.

٨- تخلو اللغات السامية من الكلمات المركبة أي التي تشتمل على أكثر من أصل بينما هذا النوع يشيع في اللغات الهندية الأوروبية.

---

(١) انظر مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد قدور: ٥٢، ٥٣ .

(٢) انظر الساميون ولغاتهم، د/ حسن ظاظا : ٢١، ٢٢، ٢٣ .

(٣) انظر مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد قدور: ٥٣ .

٩- تشترك اللغات السامية في مجموعة كبيرة من المفردات خاصة الألفاظ الدالة على أعضاء الجسم و أسماء الطبيعة والنبات والحيوان و ألفاظ القرابة والدالة على العدد وبعض الأفعال.

وقد استند بعض العلماء على هذه الظاهرة في الاستدلال على الأصل المشترك الذي انحدرت منه هذه اللغات [١].

* *

(١) انظر فقه اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي : ١٦، ١٧ .

المبحث الثالث

أشهر الدراسات حول اللغات السامية

المطلب الأول : القدماء والدراسات السامية

يُرجع مؤرخو الدراسات اللغوية الدراسات السامية إلى اليهود الذين تواجدوا في المناطق العربية، ففي العراق يُشيرون إلى سعيد بن يوسف الملقب ب(سعديا) المتوفى سنة ٩٤٥م والذي درس اللغة العبرانية وترجم التوراة. وذكروا مناحم بن سروق و دوناش بن لبرط وأبا زكريا يحي بن داود بن جبوج وأبا سليمان داود بن إبراهيم الفاسي الذي ألّف مُعجمًا ضخمًا للغة العبرية وشرح ألفاظه باللغة العربية وبيّن التقارب والتشابه بين اللغتين وذكروا المغربي يهودا ابن قريش ومروان ابن جناح وهما من علماء القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي[١].

تُعد هذه الجهود بطبيعة الحال مساهمة جادة في مجال الدراسات السامية القديمة في حدود الإمكانيات المتاحة لهم.

يقول ولنفنسون : أن أوّل من تنبّه إلى هذه العلاقة التي بين الأمم السامية هم علماء اليهود الذين كانوا في الأندلس في القرون الوسطى ثم جاء المستشرقون بعدهم فأخذوا يبحثون في علم الساميات بعناية وتوسع حتى وضحت هذه العلاقة وضوحًا تامًا[٢].

لقد اشتهر الكثير من علماء العربية منذ عهد الصحابة نذكر منهم ما يلي[٣]:

١-زيد بن ثابت

---

(١) انظر الإنسان واللسان : حسن ظاظا: ١٦٠ - ١٦٢ .

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية، ولنفنسون: ١١.

(٣) انظر مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، د/ هاشم الطعان من ص: ١١ الى ٢٣.

الصحابي الجليل وكاتب الوحي (ت٤٥ه)، قيل أن الرسول (ص) طلب منه تعلم السريانية فتعلمها في فترة وجيزة.

٢-ابن عباس

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الصحابي المعروف (ت٦٨هـ) اشتهر برسالتين عن لغات القرآن وردت فيهما معلومات عن نسبة ألفاظ قرآنية إلى أصول سريانية أو عبرية أو حبشية أو يمنية، كما نُسب إليه دعاء منظوم بعنوان دعاء سرياني .

٣-مجاهد

ابن جبر (ت١٠٤هـ) مولى بني مخزوم أخذ التفسير عن ابن عباس، ذهب إلى حضر موت وبابل ونُقلت عنه ألفاظ سريانية الأصل.

٤-عكرمة

أبو عبد الله بن عبد الله البربري المدني (ت ١٠٥هـ) كان من المفسرين واشتهر بذكره للألفاظ الحبشية.

٥-أبو عمرو بن العلاء

النحوي المعروف (ت ١٥٤هـ) روي عنه قوله (مالسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) .

٦-المبرد

محمد بن يزيد (ت ٣٨٦هـ) النحوي البصري المشهور صاحب كتاب الكامل، له أراء في أصول الكلمات الدخيلة.

٧-ثعلب

أحمد بن يحي (ت ٢٩١هـ) النحوي الكوني صاحب الفصيح ومجالس ثعلب،له آراء في أصول الكلمات الدخيلة.

٨-ابن دريد

محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ) صاحب كتاب جمهرة اللغة الذي أشار فيه الى الكثير من اللغات السامية مثل اليمنية والسريانية وله مقارنات صحيحة بين العربية والسريانية.

٩-المسعودي

علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، مؤرخ معروف صاحب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وردت في مؤلفاته معلومات دقيقة عن الأمم السامية وعلاقاتها ويرى كرتشكو فسكي أن المسعودي تنبه لفكرة وحدة الشعوب السامية قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوروبا.

١٠-الهمداني

الحسن أحمد (ت ٣٣٤هـ) مؤرخ وجغرافي صاحب (الإكليل) و (صفة جزيرة العرب) اهتم بتاريخ الجزيرة العربية وخاصة آثارها القديمة، يرى كراتشكو فسكي أنه مما يدعوا للدهشة أنّ الهمداني استطاع فك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة ويرى حمد الجاسر أنّ كتاب (الإكليل) ساعد المعنيين بدراسة اللغة الحميرية المنقوشة في الآثار اليمنية على فك نقوشها.

١١-ابن النديم

محمد بن إسحاق (ت بعد ٣٨٠ه) البغدادي صاحب كتاب (الفهرست) الذي اشتمل على معلومات كثيرة عن اللغة السبئية وفيه صورة عن حروفها وعن حروف اللغة العبرية، كما أشار الى تشابه حروف الحبشية والحمرية.

١٢-أبو حيان النحوي

محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، من مؤلفاته (نور الغبش في لسان الحبش) الذي فقد، لكن عثر على مقارنات بين الحبشية والعربية وله رأي حول العلاقة بين لغات العالم عامة وكون اللغات السامية تشكل مجموعة خاصة بين هذه اللغات.

ومن أشهر اللغويين العرب القدماء الذين تناولوا بعض اللغات السامية الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أشار الى تقارب بعض اللغات السامية، يقول (وكنعان بن سام بن نوح وإليه ينسب الكنعانيون. وكانوا أمة يتكلمون بلغة تُضارع العربية) (١).

ومن الذين أشاروا الى تقارب بعض اللغات السامية من القدماء الإمام ابن حزم الأندلسي الذي تحدث عن العلاقة بين اللغات العربية والعبرية والسريانية وأدرك أن هناك صلة وثيقة بين هذه اللغات مما يدل على أنها من أصل واحد(٢).

ومن القدماء الذين اهتموا باللغات السامية بعض الذين وجّهوا دراساتهم للنص القرآني خاصة الذين اهتموا بمفرداته تفسيرًا وتأصيلا، ومنهم الذين درسوا غريب القرآن وكانوا في كثير من الأحيان يرجعون الكلمة الى أصلها إذا كانت سريانية أو عبرية أو حبشية او فارسية... ونذكر على سبيل المثال أبا بكر السجستاني صاحب كتاب غريب القرآن حيث بيّن أصول بعض الكلمات منها كلمة (استبرق) التي قال أنها فارسية مُعربة وقال عن كلمتي (التين والزيتون) أنهما جبلان بالشام، يقال لهما طور تينا وطور زيتا باللغة السريانية، كما قال عن كلمة (جهنم) أو حطب جهنم أنها كلمة حبشية(٣).

وفي كثير من الأحيان كان الساجستاني يكتفي بقوله أن الكلمة من أصل غيرعربي أو يشير إلى أنّ الكلمة أعجمية مثل: (إبليس، يأجوج ومأجوج...) (٤).

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي/ ت مهدي المخزومي وابراهي السامرائي (المقدمة) .
(٢) انظر الإنسان واللسان،د/ حسن ظاظا ــ ص:١١٦ ، وانظر فصول في فقه العربية، د/ رمضان عبد التواب: ٤٣
(٣) انظر غريب القرآن، أبو بكر محمد السجستاني، ص:١٠٧، ١٦٧، ١٩٤.
(٤) انظر المصدر نفسه: ص: ٩٧، ٥١٣.

ونذكر كذلك الراغب الأصفهاني الذي اصّل للكثير من الألفاظ في كتابه (مفردات القرآن) مثل كلمة (إيل) حيث قال في جبرائيل وميكائيل أنّ إيل اسم الله تعالى وأن ذلك لايصح حسب كلام العرب، لأنه كان يقتضي أن يضاف إليه فيُجر بإيل، فيقال: (جبرُ إيلٍ) ثم يضيف في الهامش بعض التفسيرات منها أن كلمة (إيل) هي اسم الله في اللغة السريانية.

كما يقول عن كلمة (سجِّيل) أن معناها حجر مختلط بطين وأن أصلها فارسي.

كذلك كلمة (الإِسْوارُ) قال أنه أكثر ما يُستعمل في الرماة وأنها كلمة فارسية معربة[١] .

ومن العلماء الذين ألفوا كتبا خاصة بحصر الكلمات الدخيلة في اللغة العربية: العلاّمة أبو منصور الجواليقي في كتابه (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم)، يرى الجواليقي أن اللغة العربية أخذت الكثير من الكلمات من لغات عديدة هي: الفارسية واليونانية واللاتينية والسريانية والعبرية والحبشية ويرى أن النصيب الأوفر من هذه الكلمات جاء من اللغة الفارسية ومن أمثلة ذلك (إبريق، استبرق، اسطوانة، بابونج، باذنجان، جورب، جُوالق، جُوز، خان، خندق، خيار، دبوس، دهليز، دولاب، زنجبيل، زلابية، هندل، صولجان، طباشير، طراز، كافور، كوخ، لجام، ميدان، ميناء، نموذج، نسيم، هاوون، هرد، ورد، ياسمين...) [٢] .

ونجد كذلك في كتاب المعرب للجواليقي كلمات كثيرة أصولها من اللغة السريانية نذكر منها مايلي: (أسْقف ومعناه رجل الدين، باطينا ومعناه إناء الخمر، الباغوث ومعناه الطلب والرجاء وخاصة طلب الإستسقاء، البَرنْسَاءُ

(١) انظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص:٧٥، ٩٩، ٣٩٨، ٤٣٣.
(٢) انظر المعرب، أبو منصور الجواليقي. ت: د/ف، ص: من ٣١ إلى ٥١.

ومعناه الخلق، التُخوم أي الحدود يقال هذه القرية تتاخم أرض كذا...أي تحادها، السَنُّور: نوع من الدروع، السِمسار وأصلها الذي يبيع البر للناس والسمسرة بمعنى التجارة، الطور وهو الجبل، الفرسخ: مقياس مسافة وهو في السريانية (فرسخا)، الفُوّة: عروق تستخرج من الأرض تستخدم للصباغة وهي (فوتا) بالسريانية، قنطار: وزن معروف، القازوزة من (قزقزا) ومعناه الكوب،الناطور: الحارس وأصلها بالسريانية (ناطورا) ...) [١].

أمّا الكلمات ذات الأصول العبرية نذكر منها: (إبراهيم وهي في العبرية: أبراهام ومعناه الأب، ابليس، بُصرى: موضع بالشام وأصل معناه بالعبرية مُحصّن، بارخ أي بارك من البركة تنور بمعنى الكانون الكلمة موجودة كذلك في لغات أخرى كالأرآمية والسريانية والفهلوية وهي واردة في القرآن الكريم في سورتي (هود: الآية ٤٠ والمؤمنين: الآية ٢٧) والأرخ بمعنى الوقت من العبرية: يارخ أي القمر والكلة موجودة في لغات سامية أخرى وجالوت، الجولان: اسم جبل جهنم، الربانيون، سليمان وأصله بالعبرية: سَلُومُون، العربون في التجارة، هارون وأصله بالعبرية: أهارون...) [٢].

وقد أورد الجواليقي في كتابه المعرب كلمات أخرى كثيرة أصلها من لغات سامية أخرى كالنبطية والكنعانية والأرآمية واليمانية القديمة.

كذلك قام العلامة شهاب الدين الخفاجي بحصر الكثير من الكلمات في اللغة العربية جاءت من لغات سامية مختلفة كالعبرية والحبشية والسريانية النبطية، كما أورد الكثير من الكلمات الفارسية، وضمّنها كتابه المشهور: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل.

---

(١) انظر المرجع السابق: من ١٤٤ الى ٦١٠.

(٢) انظر المرجع السابق: ١٠٤، ١٢٢، ١٧٦، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٣٠، ٣٨٢، ٤٥٧، ٦٢٩.

نذكر من الكلمات الفارسية (أماج: موضع اللعب والرقص، بهرام: المريخ، أناهيد: اسم الزهرة، تنور، جذاد: الثياب البالية، جَنك: ألة للطرب، زماورد: نوع من الخبز الرقيق زيج: خيط البناء، سبج: خزر أسود، قرطق: نوع من اللباس، قرقس: وهو نوع من الطين يُختم به موم: الشمع ومسك معروف، مهندم: أي مُصلح...) [١].

وهناك كلمات أخرى بيّن الخفاجي أنها من لغات أخرى ومن أمثلة ذلك مايلي: (تِركة: من اللغة السريانية وهي الباب، جوذبا ومعناها الكساء وهي نبطية، فدّان وهو مقياس ومقدارمعروف وهي نبطية، فرفير وهو لون قريب من الكحلي وهي كلمة رومية، وفنجانه: فنجان القهوة المعروف وقال أنها كلمة يمانية قديمة...) [٢].

ومن الذين التفتوا للغات السامية من القدماء أصحاب المعاجم الذين قاموا بتأصيل الكثير من الكلمات،وبينوا لنا كيف استعملت هذه اللغة الكثير من الكلمات ذات الأصول الحبشية والسريانية والفارسية. نذكر منهم ابن دريد في الجمهرة وابن منظور في لسان العرب والأزهري في تهذيب اللغة وغيرهم.... ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن دريد، يقول (البذج): والبَذَج بفتح الباء والذال: الحَمَل، فارسي مُعرب، وقد تكلمت به العرب... [٣].

ويقول حول كلمة (جِربّان): وجربّها الدِرع وجُربّانها جيبها، وأحسبه معربا.

---

(١) انظر شفاء الغليل فيما في كلام العرب م الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، ١٣٢٠هـ، ص: ١٧، ١٩، ٤٨، ٦٠، ٦٥، ٦٧، ١٨٢، ١٨٣.

(٢) انظر المرجع نفسه: ٥٢، ٦٠، ١٤٧، ١٤٩.

(٣) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ت. د/ رمزي منير بعلبكي ص: ٢٦٥.

وقال أبو حاتم: هو كَريبان بالفارسية. يُقال: استخرج فلان سيفه من جُرُبّانه، أي من قرابه والقراب غير الغمد وهو وعاء من أدَم يكون فيه السيف بغمده وحمائله... (١).

ويقول حول كمة (الدبج): والدبج النقش أصله فارسي مُعرّب مأخوذ من الديباج... (٢).

كذلك نجد ابن منظور في كتابه لسان العرب يُشير الى بعض الكلمات ذات الأصول الغير عربية ومن أمثلة ذلك كلمة (البَرخُ) يقول: البرْخُ: الكبير الرّخيص، عُمَانية، وقيل: هي بالعبرانية أو السريانية، يقال: كيف أسعارهم؟ فيقال: برخ أي رخيص.... (٣).

ويقول حول كلمة (الطرَّخَة): الطرخة: ماجِل كالحوض الواسع عند مخرج القناة يجتمع فيها الماء ثم يتفجر منها الى المزرعة، وهو دخيل ليست فارسية ولا عربية محضة... (٤).

ويقول في موضع أخر حول كلمة (النُّخُّ): والنُّخُّ: بساط طوله أكثر من عرضه، وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ، والله أعلم.... (٥).

المطلب الثاني : أهم الدراسات السامية الحديثة

تنقسم الدراسات الحديثة التي تخص اللغات السامية بصفة عامة إلى قسمين أولهما تلك التي تبحث في تاريخ اللغات السامية، وقد ألّف فيها المستشرقون كُتُبًا كثيرة، وبعضهم اتجه لدراسة النحو والصرف لبعض هذه اللغات. أمّا القسم الثاني فيدرس الآثار التي اكتشفت في مواطن الأمم السامية

(١) انظر المصدر السابق: ح (١): ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) انظر المرجع نفسه: ح (١) : ٢٦٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثالث: ٧.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨.

(٥) المصدر نفسه.

القديمة والخطوط والنقوش الخاصة بهذه اللغات ويمكن أن نحصر أشهر العلماء الذين اتجهوا لدراسة اللغات السامية في ما يلي:

أوّلا العلماء الغربيون المستشرقون:

إسرائيل ولنفنسون، أرنست وينان، إدوارد ألندوزن، أنطوان شبتيالر، أنطوان مايبه بارت، برجستراس، تيودور نولدكة، دي لاكاي أوليري، زيميرون، فولفرام فون سودن كارل بروكلمان، لاجارد، موسكاتي، وليم رايت.

أمّا الباحثون العرب فأشهرهم:

د. إبراهيم السامرّائي، بحر عبد المجيد، د. حسن ظاظا، خليل نامي، د. ربحي كمال، د. رمضان عبد التواب، د. عبد المجيد عابدين، د. محمود فهمي حجازي، د. علي عبد المجيد وافي، د. عوني عبد الرؤوف، د. مراد كامل، مرمرجي الدومنيكي.

وسنقف هنا على نموذجين من مؤلفات المجموعة الأولى مجموعة المستشرقين وأولها كتاب (تاريخ اللغات السامية) لصاحبه إسرائيل ولنفنسون أستاذ اللغات السامية في الجامعات المصرية، وهو كتاب من مئتين وخمسة وخمسين صفحة، بدأه بمُقدمة قصيرة بيّن فيها أن علماء الغرب قد سبقوا الأمم الشرقية في البحث في تاريخ اللغات السامية وتوصلوا منذ القرن الثامن عشر إلى نتائج باهرة.

قال في هذه المقدمة بأنه اعتنى عناية خاصة بموضوع نشأة اللغة العربية، يقول (... وقد عنيتُ بالبحث في نشأة اللغة العربية ووصلت فيه إلى نتائج هي ثمرة جهودي الشخصية إذ كانت بحوث المستشرقين في نشأة اللغة العربية ناقصة وموجزة بل وغامضة، في حين أنها كانت وافية في أغلب بحوثهم في باقي اللغات السامية لاسيما اللغة العبرية فلهم فيها أبحاث جليلة

لذلك اهتممت جد الاهتمام بالبحث في اللغة العربية ووضعتُ لها ثلاثة أبواب مفصلة..) [1].

وقد خصّص المؤلف الباب الأوّل من الكتاب للحديث عن اللغات السامية بصفة عامة وأشار إلى سبب تسمية هذه المجموعة بهذا الاسم، وقال أن أوّل من استعمل هذه التسمية هو العالم شلوتزر ثم تطرق إلى الموطن الأصلي للساميين وقال أن الآراء اختلفت وتضاربت حول هذه المسألة وبيّن كذلك بعض خصائص اللغات السامية.

وفي بقية الأبواب فصّل كل لغة تفصيلا وضح فيه مكان تواجدها وخصائصها وأقسامها ونقوشها وآثارها، فبدأ باللغة البابلية الأشورية ثم العبرية والأرامية وخصّص جزءًا كبيرا من الكتاب للغة العربية ونشأتها وفصّل في اللهجات العربية البائدة ثم الباقية واللهجات العربية في جنوب بلاد العرب (معين وسبأ وحمير وقتبان وحضرموت).

وكان أخر باب في الكتاب حول اللغة الحبشية وأشهر لهجاتها وأثارها ونقوشها. وتميّز هذا الكتاب بفهرس للنقوش والكتابات وبملاحظات وردت في أخر الكتاب وضعها الأستاذ أنوليتمان بالألمانية وترجمها المؤلف للعربية كما اشتمل هذا الكتاب على قاموس صغير لمجموعة من الكلمات المترجمة من اللغة العربية إلى باقي اللغات السامية وهذا القاموس ــ في رأيي ــ أعطى هذا الكتاب قيمة أخرى ومكانة كبيرة بين البحوث والمؤلفات التي ألفت حول اللغات السامية.

والكتاب الأخر والذي أراه من أهم ما أُلف في هذا المجال هو (فقه اللغات السامية) لكارل بروكلمان والذي قام بترجمته الدكتور رمضان عبد التواب.

---

(١) تاريخ اللغات السامية. / ولنفنسون: ٦.

يبدأ بمقدمة بيّن فيها أن فقه اللغات السامية يبحث في العوامل الخارجية والتطورات الداخلية لهذه اللغات وأنّه ليست عندنا إلى حد الآن بحوث معمقة في هذا المجال.

قسّم بروكلمان كتابه إلى ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأوّل الكثير من المسائل المهمة منها سبب التسمية والشعب السامي الأوّل والعلاقة بين اللغات السامية والحامية والسامية الأم، ثم تطرّق إلى أقسام اللغات السامية ولهجاتها بشيء من التفصيل.

أمّا الفصل الثاني فكان حول الكتابة السامية وأنواع الخطوط ورموز الحركات.

وجاء الفصل الثالث حول القواعد المقارنة للغات السامية وخصّص القسم الأوّل منه للأصوات فبيّن أقسامها وأنواع المقاطع في هذه اللغات والنبر المماثلة والمجاورة والقلب وأنواعه وهو بطبيعة الحال في كل هذه المسائل يقارن بين هذه اللغات. وكان القسم الثاني حول الصيغ وبدأ بالاسم وتناول فيه الضمائر والأسماء الظاهرة والجنس والعدد وحالات الإعراب والتعريف والتنكير، ثم تناول الفعل بأبنيته وأزمنته وأنواع التصريف المختلفة كما أشار إلى بعض الأزمنة الأخرى الثانوية والتي تخص كلا من اللغة الأشورية والسريانية الحديثة.

أمّا المجموعة الثانية وهي مجموعة الباحثين العرب فنذكر منهم الدكتور إبراهيم السامرائي وهو من أوائل الذين فتحوا باب الدراسات اللغوية المقارنة – وفي رأيي – هذا العالم لم ينل المكانة اللائقة بعلمه لا في وطنه العراق ولا في الوطن العربي، له مؤلفات غزيرة بعضها حول اللغات السامية منها دراسات في اللغتين العربية والسريانية وكتاب فقه اللغة المقارن الذي سنقف معه هنا وهو في رأيي من أهم مؤلفات السامرائي.

الكتاب منوع يجمع بين الكثير من الموضوعات بدأه بمقدمة بيّن فيها أن بعض الأمم افتخرت بلغاتها ومجدّتها وأدّى بها الأمر إلى الإعجاب الذي تجاوز حد المعقول؛ فزعم الصينيون أن لغتهم صاحبة الشرف وأن اللغات الأخرى فروع لها، وزعم العبرانيون أن العبرية هي سيدة اللغات وأنها اللغة الأولى، ثم جاء الآراميون فنادوا بشرف لغتهم وأنها لغة الأسفار المقدسة.

واعتقد الإغريق أن لغتهم لغة الحكمة والعبقرية الخارقة، ثم جاءت العربية لغة التنزيل فسحرت ببيانها وجمالها قلوب أهلها وكان ماكان من دراسات في مسألة الإعجاز.

ويرى السامرائي أن هذا الإعجاب بالعربية لم ينصبّ إلّا على الفصيح منها فلم يهتموا باللهجات وهذا أدّى إلى أخذ نظرة ضيقة عنها، فقد حصروا الفصيح في لغة الجاهليين وصدر الإسلام فضاع بذلك الشيء الكثير من التراث العربي.

وقد اشتمل هذا الكتاب على موضوعات كثيرة لكن الذي نهتم به هو ما يتعلق منها باللغات السامية. فقد أورد موضوعا بعنوان (بحث مقارن في التثنية) بيّن فيه أن لفظ (اثنان) من الألفاظ السامية وذكره في العبرية والاكدية والحبشية، كما بيّن أن المثنى من الموضوعات التي لم تبرز بوضوح إلا في العربية من بين اللغات السامية وقد زالت تماما من اللغة السريانية.

وتطرق كذلك لعلامات التثنية في بعض اللغات السامية مع المقارنة بينها وبين العربية.

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها موضوع (الجمع دراسة مقارنة) بيّن فيه أن اللغة العربية اختصت بجموع التكسير وخلت منه بقية اللغات السامية ماعدا اللغة الحبشية.

أمّا جمع التصحيح بالواو والنون والياء والنون فقد أثبتت الدراسات المقارنة وجودهما في اللغتين العبرية و الأرامية.

وفي موضع آخر من الكتاب تناول السامرائي موضوعًا آخر وهو مسألة الإعراب: دراسة مقارنة في اللغات السامية، وتوصّل إلى أن اللغة العربية حافظت على هذه الظاهرة الموغلة في القدم في حين أن أغلب اللغات السامية فقدت هذه الظاهرة ماعدا اللغتين النبطية والحبشية.

وبيّن أن المستشرقين أجمعوا على أن الإعراب ظاهرة سامية بحته موروثة عن اللغة السامية الأم.

ومن المواضيع الأخرى التي عالجها السامرائي من خلال بحوثه المقارنة في كتابه ظاهرة التنوين وقد توصّل فيها إلى أن التعريف باللام وأن التنكير بالتنوين شيء واحد ويُستدل على ذلك ما وُجد في اللغة الأكدية القديمة مثل نصوص قانون حمورابي ووجود التميم فيها الذي يقابل التنوين. وبيّن كذلك أن اتصال التعريف بالتنكير وتبادلهما حاصل كذلك في اللغة الأرامية واللغة السريانية. ومكان أداة التعريف في كثير من اللغات السامية هو أخر الاسم ثم تطورت عبر الزمن في بعض اللغات السامية فصارت أوّل الاسم.

ومن المجموعة الثانية نذكر الدكتور حسن ظاظا الذي تناول الكثير من المسائل التي تخص اللغات السامية في مؤلفاته المختلفة، وله كتاب خصّصه بأكمله لها وهو بعنوان (الساميون ولغاتهم)، بدأه بمقدمة طويلة تكلم فيها عن البيئة الجغرافية للساميين بالتفصيل وعن أصل الساميين واللغة السامية الأم وطرح كل النظريات التي وردت في تلك المسائل وأشار الى أراء معظم المستشرقين فيها. وذكر صفات السامية الأم الصوتية منها احتوائها على حروف الحلق والتفخيم والحروف بين الأسنانية بالإضافة إلى بعض الصفات الصرفية والنحوية.

وذكر كذلك بعض المميزات الأخرى للغات السامية منها أن مشتقاتها تنطلق من المادة الثلاثية وتكثر فيها الصيغ الفعلية وتتميز كذلك بوجود الجملة الإسمية.

أمّا باقي الكتاب فقد تناول فيه كيف تطور الساميون تاريخيًا وحضاريًا حيث فصّل في كل شعب سامٍ من ناحية مكان تواجده والآثار والنقوش الدالة على لغته وتاريخها ولهجاتها وأقسامها وخصائصها، وقد بدأ بالأكاديين ثم الكنعانيين ثم العبريين والآراميين وختم بالتفصيل في ما يتعلق بالساميين الجنوبيين وهم بلاد العرب والحبشة.

ومما يميز هذا الكتاب القيّم ــ على صغر حجمه ــ إحتوائه على مجموعة كبيرة من الفهارس منها الفهرس الجغرافي وفهرس اللغات واللهجات وفهرس الأعلام وفهرس الألفاظ.

* *

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فإنني أحمد الله تعالى وأشكره على أن منّ عليّ بإتمام هذه الدراسة التي خرجت منها ببعض النتائج أذكرها فيما يلي:

١- اختلفت أراء العلماء حول الموطن الأصلي للساميين وظهرت عدّة مذاهب في هذه المسألة.

٢- بعض العلماء يميلون إلى أنّ أقرب اللغات السامية للسامية الأم هي اللغة العربية.

٣- هناك خصائص كثيرة تُميز مجموعة اللغات السامية عن غيرها من الفصائل اللغوية وأهمها ما يلي:

- يغلب على أصواتها الأصوات الحلقية.
- يعتمد بناء الكلمة فيها على الأصوات الصامتة.
- تُضاف للكلمات بعض اللواحق والسوابق لتأدية معان مختلفة.
- ترجع الكلمات فيها إلى الجذر الثلاثي وتشيع فيها الجملة الاسمية أكثر من الجملة الفعلية.
- تخلو اللغات السامية من الكلمات المركبة التي تشتمل على أكثر من أصل وتشترك هذه اللغات في الكثير من المفردات.

التوصيات:

ونخرج بعد هذه النتائج ببعض التوصيات وهي:

- ضرورة حث الباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي على الإلتفات للبحث في اللغات السامية علميًا وتاريخيًا.
- تشجيع الباحثين وطلاب العلم على إثراء البحث التاريخي والمقارن.
- تشجيع الترجمة التي تخدم الدراسات الخاصة باللغات السامية حتى نطلّع على البحوث القيّمة التي أنجزها علماء الغرب في هذا المجال.

هذا وإن وفقت في هذا العمل فمن الله عز وجل وإن قصرت فمن نفسي.

والله ولي التوفيق،،،

المصادر والمراجع:

١- الإنسان واللسان، د. حسن ظاظا، دار الفكر العربي .
٢- تاريخ اللغات السامية، أ. ولنفنسون (أبو ذؤيب)، دار القلم ــ بيروت ــ لبنان.
٣- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: د/ رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين ــ بيروت ــ لبنان، ط(١) و ١٩٨٧م .
٤- شفاء الغليل فيما في كلام العربية من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق وتصحيح: محمد بدر الدين النعاسي، مطبعة السعادة ــ مصر، ط(١)، ١٣٢٥هـ .
٥- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات ــ الكويت.
٦- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي دار الهجرة ــ إيران ، ط(١)، ١٤٠٥هـ .
٧- غريب القرآن، أبو بكر محمد السجستاني، تحقيق: محمد أديب جمران، دار قتيبة ط(١) - ١٤١٦هـ ت ١٩٩٥م .
٨- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ــ القاهرة، ط(٦) ١٤٢٠ه ــ ١٩٩٩م .
٩- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر ــ القاهرة ، ط(٣) ، ٢٠٠٤م.
١٠- مدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر - دمشق - سوريا، ط(٣) - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي وأخرون، ترجمة: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب ــ بيروت، ط(١) - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٢- المعرب، أبو منصور الجواليقي، تحقيق: د. ف. عبد الرحيم، دار القلم - دمشق - سوريا، ط(١) - ١٤١٥هـ - ١٩٩٠م .

١٣- مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، د. هاشم الطعان، دار الحرية للطباعة ــ بغداد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٤- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة - ٢٠١١م .

١٥- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، تنسيق وتعليق: مكتب إحياء التراث، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط(٣) - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٦- موقع السامية والساميون واللغة السامية الأم ــ المطران بولس بهنام. (www.syriacstudies.com)، ٢٠٠٧م.

* * *